

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلْقَةُ ٣

حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ

بَدْءُ الْوَحْيِ وَالدَّعْوَةُ السِّرِّيَّةُ فِي مَكَّةَ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ

Hj Che Alim Hj Che Haron
AK (Kelantan)
quranscience.my

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ Hj Che Alim Hj Che Haron AK (Kelantan) • @QuranScienceMY • quranscience.my
هذا الكتاب الإلكتروني مجاني للمسلمين — يمنع بيعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلْقَةُ ٣

حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ

بَدْءُ الْوَحْيِ وَالدَّعْوَةُ السِّرِّيَّةُ فِي مَكَّةَ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ

سورة العلق (٩٦): ١

HJ CHE ALIM HJ CHE HARON

quranscience.my | @QuranScienceMY

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ quranscience.my — كتاب إلكتروني مجاني. يُمنع بيعه.

شكر وإهداء

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده هدًى للناس. والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أُهدي هذا الكتاب خاصّةً إلى زوجتي الحبيبة،

زهرة محمد لطيف؛

وإلى أبنائي وبناتي الأحبّة،

محمد حافظ، نور هزواني، عبد الحكيم، نور هداية، نور عاقلة ونور عتيقة؛

وإلى أصهاري وكنّاتي،

فضيلة، مالك، حنين، فيريزال وفيروان.

تتبع هذه الحلقة الثالثة من «السيرة النبوية» أعظمَ لحظةٍ في حياة رسول الله ﷺ — نزولَ الوحي الأوّل في غار حراء — وثلاثَ سنواتٍ من الدعوة السرّية بنت الجيلَ الأوّل من هذه الأمّة. أسأل الله أن يجعل هذا العلم عِلْمًا يُنْتَفَعُ بِهِ.

عن غلاف هذا الكتاب

لا يصوّر غلافُ هذا الكتاب أيَّ إنسان، بل يعرض **جبلَ النور ليلًا**: قمّةً صخريةً داكنةً تحت **سماءٍ مرصّعةٍ بالنجوم**، مع **نورٍ هادئ** ينبعث من **فجوةٍ** في سفح الجبل — حيث يقع غار حراء — و**وادي مكة** الساكنِ أسفله، و**الكعبةِ** في وسط الوادي، و**قافلةِ إبل** تسير ببطءٍ على طريقٍ رمليّ.

يرمز النور المنبعث من فجوة الجبل إلى الوحي الأوّل الذي نزل في غار حراء، وهو يتّجه نحو الكعبة — فمن هناك بدأت الرسالة وإلى بيت الله تعود. وأمّا الليل الساكن فيذكّر بالسنوات الثلاث من الدعوة السرّية التي يرويها هذا الكتاب.

الشريط الأزرق الداكن في الأسفل، المؤطَّر ب**خطوطٍ ذهبيةٍ رفيعة**، هو موضع اسم المؤلف.

المحتويات

حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ — مقدّمة
١. على مشارف الأربعين — العالم في سنة ٦١٠م
٢. الرؤيا الصادقة — من كتب السيرة
٣. ليال في غار حراء — خريطة مكة
٤. اقرأ: الوحي الأوّل — العلق ٩٦: ١-٥؛ صحيح البخاري ٣
٥. شرح الآيات الخمس الأولى — تفسير ابن كثير
٦. «ما أنا بقارئ» — النبيّ الأمّي
٧. خديجة: أوّل من سكّن روعه — جدول الخصال الخمس
٨. ورقة بن نوفل — من كتب السيرة
٩. كيف كان يأتيه الوحي — صحيح البخاري ٢
١٠. نزول القرآن منجّمًا — الإسراء ١٧: ١٠٦
١١. فترة الوحي — من كتب السيرة
١٢. المدّثّر: الأمر بالقيام — المدّثّر ٧٤: ١-٥؛ صحيح البخاري ٤
١٣. أوّل خمسة أوامر للداعية — جدول الأوامر
١٤. خديجة: أوّل من آمن — من كتب السيرة
١٥. عليّ وزيد: من بيت النبيّ — من كتب السيرة
١٦. أبو بكر الصدّيق — من كتب السيرة
١٧. من أسلموا على يد أبي بكر — شكل أوائل المؤمنين
١٨. «خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر» — صحيح البخاري ٣٨٥٧
١٩. المستضعفون الأقوياء بإيمانهم — من كتب السيرة
٢٠. دار الأرقم: المدرسة الأولى — من كتب السيرة
٢١. لماذا كانت الدعوة سرًّا؟ — خطّ زمني
٢٢. بين الرواية الصحيحة والقصّة المشهورة — تقويم الروايات
٢٣. أماكن مهمّة في هذه الحلقة — جبل النور وغار حراء ودار الأرقم
٢٤. كتابة القرآن وحفظه — من الصدور إلى المصحف
٢٥. آثار من التاريخ: أقدم مخطوطات القرآن — برمنغهام وتوبنغن
٢٦. أعلام هذه الحلقة: السابقون الأوّلون — جدول الأعلام
٢٧. خطّ زمني: السيرة والعالم — جدول أحداث ٦١٠-٦١٥م
٢٨. أسئلة شائعة — اثنا عشر سؤالًا
٢٩. الدروس والخاتمة
المراجع
الدعم والتبرّع

دليل الألوان: الإطار الأخضر = آية من القرآن الكريم؛ الإطار الذهبي = حديث؛ الإطار البنّي = من كتب السيرة؛ الجدول الأزرق = مقارنة. أسماء الرواة المسطّرة بالأزرق روابط إلى صفحاتهم في موقع sunnah.com.

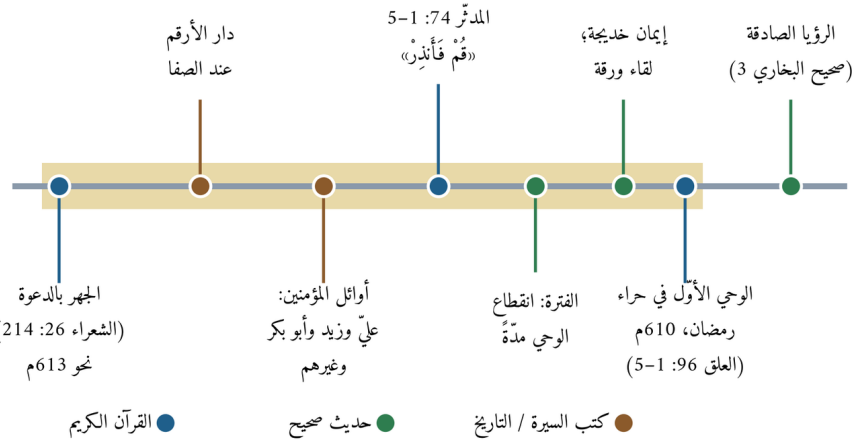
حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ

انتهت الحلقة الثانية من «السيرة النبوية» برجلٍ في الأربعين يخلو بنفسه في غار حراء — رجلٍ لقّبه قومُه «**الأمين**». وهذه الحلقة الثالثة تروي اللحظة التي غيّرت تاريخ البشرية: **نزولَ الوحي الأوّل**، وما أعقبه من خوفٍ ثمّ سكينة، وانقطاعَ الوحي مدّةً، والأمرَ ب**القيام والإنذار**، **وثلاثَ سنواتٍ من الدعوة السرّية** التي أخرجت الجيل الأوّل من هذه الأمّة.

وقد رُويت هذه الأحداث مفصّلةً في **الأحاديث الصحيحة**، ولا سيّما في الباب الأوّل من صحيح البخاري، «كتاب بدء الوحي». وقد اختيرت الآيات والأحاديث في هذا الكتاب بعناية — ما كان وثيق الصلة بالموضوع فحسب — أمّا قصص كتب السيرة فقد وُضعت في إطار «من كتب السيرة» مع بيان درجتها.

خطٌّ زمنيّ: بدء الوحي والدعوة السرّية

الشريط الذهبي: نحو ثلاث سنوات من الدعوة السرّية (610–613م)



المواضع على المحور ترتيبٌ تقريبيّ لا مقياسٌ زمنيّ دقيق. ومدّة الفترة والتواريخ الدقيقة محلّ خلاف.

الشكل ١: خطّ زمني لبدء الوحي والدعوة السرّية.

ملاحظة: الآيات القرآنية في هذا الكتاب بالنصّ العربي مع روابطها. وتُذكر درجة كلّ حديث في إطاره. وما ورد في كتب السيرة وُضع في الإطار البنّي «من كتب السيرة»، وأُرفقت الوقائع التاريخية بروابط مصادرها.

على مشارف الأربعين

تذكر كتب السيرة أنّ الوحي الأوّل نزل ورسول الله ﷺ **في الأربعين من عمره**، نحو سنة **٦١٠م**. والأربعون سنّ اكتمال النضج، وقد ذكرها القرآن الكريم علامةً على بلوغ الإنسان أشدَّه وكمالِ قوّته وعقله (الأحقاف ٤٦: ١٥).

وقد أثبتت تلك السنوات الأربعون أمرًا مهمًّا: عرفه قومُه **صادقًا أمينًا كريمَ الخُلُق** (الحلقة ٢). فلمّا جاءهم بالوحي لم يكن لهم أن يتّهموه بالكذب من واقع تجربتهم معه.

العالم في سنة ٦١٠م

نزل الوحي في وادٍ قاحلٍ بعيدٍ عن مراكز الحضارة في العالم. ولكي ندرك عِظَم هذا الحدث، لننظر في حال العالم يومئذٍ:

القوّة / الإقليم	الحال نحو سنة ٦١٠م
الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)	تولّى هرقل الحكم سنة ٦١٠؛ وكانت الإمبراطورية تعاني الحرب الأهلية وخطر الفرس.
الإمبراطورية الفارسية (الساسانية)	في عهد كسرى الثاني (أبرويز)؛ تهاجم الولايات الرومانية في الشام ومصر.
جزيرة العرب	لا دولة جامعة؛ قبائل متنافسة، والأصنام تملأ ما حول الكعبة.
مكة	مركز التجارة والحجّ؛ وقريش صاحبة السيادة بوصفها سدنة الكعبة.

المصدر: ويكيبيديا، «Heraclius»؛ ويكيبيديا، «Khosrow II».

وفي أقلّ من ثلاثين سنة بعد الوحي الأوّل بلغت الرسالةُ التي بدأت في غار حراء قصورَ تينك الإمبراطوريتين. وبدأ ذلك كلّه بكلمةٍ واحدة: «**اقرأ!**»

الرؤيا الصادقة

حدّثت عائشة رضى الله عنها أنّ أوّل ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي **الرؤيا الصالحة** في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت **مثل فَلَق الصبح** – واضحةً صادقة (صحيح البخاري ٣).

كانت هذه الرؤى **تمهيدًا**. فقد عُوِّدت نفسُه الشريفة شيئًا فشيئًا على أمور الغيب قبل أن يأتيه الملَك عِيانًا؛ فلم يفاجئ اللهُ رسولَه بالوحي من غير تهيئة.

> **من كتب السيرة: ستّة أشهر من الرؤيا الصادقة**
>
> ذكر بعض العلماء، استنادًا إلى روايةٍ نقلها البيهقي، أنّ مدّة الرؤيا الصادقة كانت **ستّة أشهر** قبل الوحي الأوّل في غار حراء. وهذه الرواية **ليست في الصحيحين**، فتُذكر قولًا لبعض العلماء لا أمرًا مقطوعًا به.

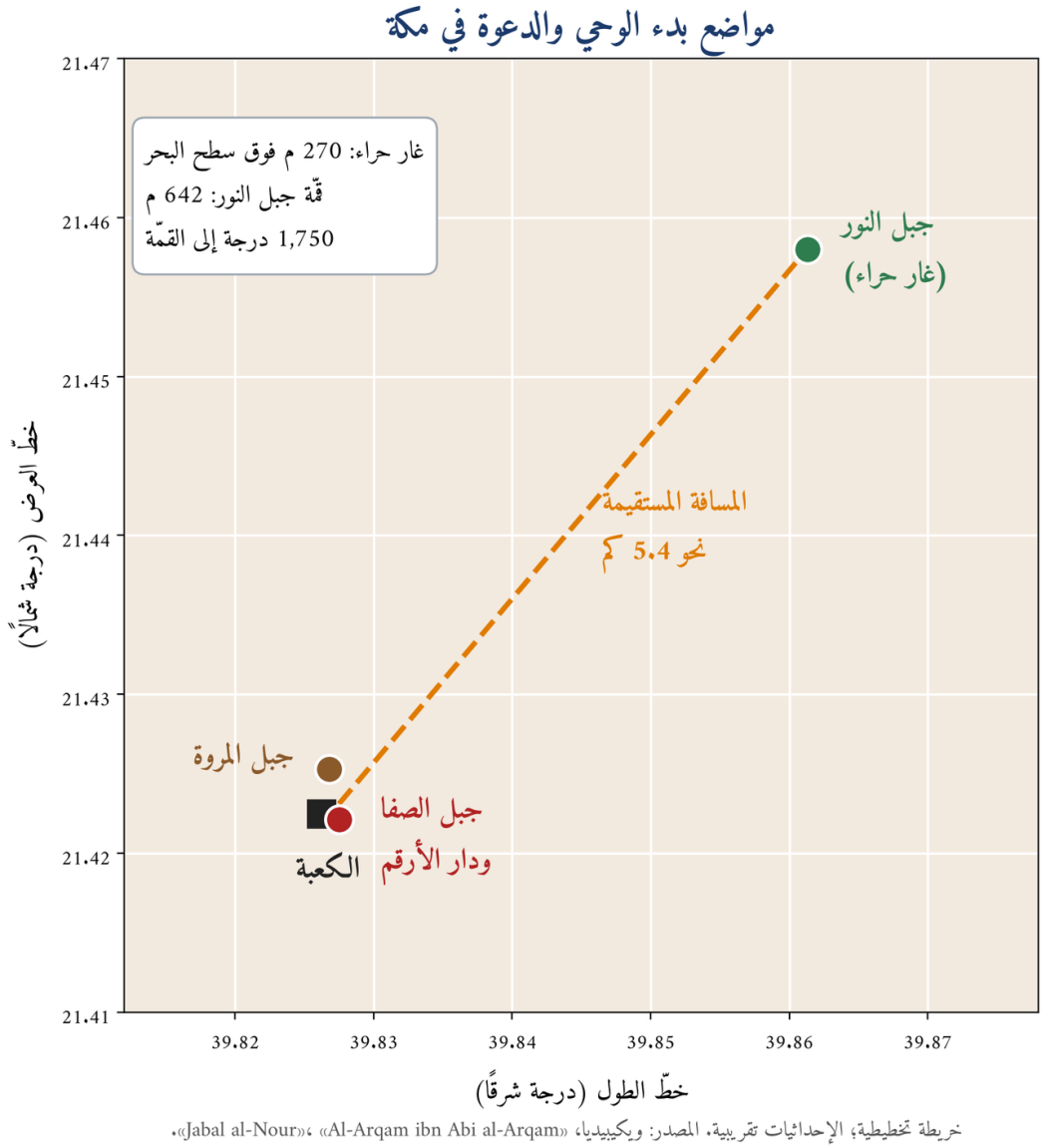
رؤيا المؤمن

رؤيا الأنبياء وحي. وأمّا المؤمن فقد علّمه رسول الله ﷺ أنّ الرؤيا الحسنة من الله، والحُلم المكروه من الشيطان، وأمره أن يستعيذ منه ولا يحدّث به أحدًا (صحيح البخاري ٦٩٨٥).

والعبرة: رؤى عامّة الناس **ليست مصدرًا للأحكام**، ولا تُقدَّم على القرآن والسنّة. وإنّما تكون الرؤيا الصادقة وحيًا للأنبياء وحدهم.

لياليٍ في غار حراء

ويذكر الحديث نفسه: ثمّ **حُبِّب إليه الخلاء**، فكان يخلو بغار حراء **فيتحنّث** فيه — وهو التعبّد — الليالي ذوات العدد، ويتزوّد لذلك، ثمّ يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها (صحيح البخاري ٣).



الشكل ٢: موقع غار حراء والكعبة وجبل الصفا (خريطة تخطيطية).

جبل النور بالأرقام

الحقيقة	التفاصيل
ارتفاع القمّة	٦٤٢ مترًا فوق سطح البحر
موضع غار حراء	نحو ٢٧٠ مترًا فوق سطح البحر، في سفح الجبل
حجم الغار	طوله نحو ٣٫٧ م وعرضه ١٫٦ م
المسافة من الكعبة	نحو ٥٫٤ كم (خطّ مستقيم)
الصعود	نحو ١٬٧٥٠ درجة؛ من ساعة إلى ساعتين

المصدر: ويكيبيديا، «Jabal al-Nour». وحُسبت المسافة من الإحداثيات.

تخيّل ذلك الصعود في زمنٍ لا درج فيه، مع حمل الماء والزاد لليالٍ عدّة. وتخيّل كذلك **خديجة** رضى الله عنها وهي تؤازر زوجها وتعدّ له ذلك الزاد. لقد كانت خلوة حراء زمنًا **للتفكّر والتأمّل والعبادة**، بعيدًا عن الأصنام وضجيج مكة.

والعبرة: كلّ إنسانٍ يحتاج إلى **خلوةٍ مع الله** — للمحاسبة والعبادة. وفي زمن الهواتف الذكية قد لا يكون «غار حرائنا» إلّا دقائق من السكون بعد الصلاة أو في ثلث الليل الأخير.

اقرأ: الوحي الأوّل

وفي ليلةٍ من ليالي **شهر رمضان**، وهو في غار حراء، جاءه **الحقّ**: ظهر له جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: «اقرأ!»
وهذه أوّل آياتٍ نزلت من القرآن الكريم:

سورة العلق (٩٦): ١-٥

ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢

ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣

ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤

عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥

المصدر: quran.com/96:1-5

وقد روت عائشة رضى الله عنها الحادثة كلّها — من الرؤيا الصادقة إلى لقاء ورقة — في الحديث الذي هو أصل هذا الفصل:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٣

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ. قَالَ «مَا أَنَا بِقَارِئٍ». قَالَ «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ. قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ. فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ}». فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضى الله عنها فَقَالَ «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ ـ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ـ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى صلى الله عليه وسلم يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ». قَالَ نَعَمْ، لَمْ

يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ.

السند: رواه الإمام البخاري: عن يحيى بن بُكير، عن الليث بن سعد، عن عُقيل بن خالد، عن ابن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنها.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٣. ورواه مسلم أيضًا (رقم ١٦٠).

الدرجة: صحيح – أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:3

دروسٌ من هذا الحديث

هذا الحديث هو **المصدر الأصليّ** لقصّة بدء الوحي. وهو يدلّ على أنّ الوحي لم يكن شيئًا طلبه النبيّ أو توقّعه؛ فقد **فزع وارتجف**، فرجع يلتمس الأمن والسكينة عند زوجه.

ويردّ الحديث كذلك دعوى أنّه ألّف القرآن؛ فالمؤلّف لا يخاف ممّا ألّفه، ولا يسأل غيرَه عمّا جرى له.

شرح الآيات الخمس الأولى

افتُتح الوحي الأوّل بأمر: «**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**». ويبيّن ابن كثير أنّ هذه **أوّلُ ما نزل من القرآن**، وأنّها **أوّلُ رحمةٍ** رحم الله بها العباد وأوّلُ نعمةٍ أنعم بها عليهم. تفسير ابن كثير ٩٦: ١.

وليست القراءة في الآية أيَّ قراءة؛ إنّها «**بِاسْمِ رَبِّكَ**» — علمٌ يبدأ بمعرفة الخالق ويتّصل به.

وتذكر الآية الرابعة أنّ الله «**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**». قال ابن كثير: في الآية بيانُ **شرفِ العلم**؛ فبالعلم كرّم الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ على الملائكة، وبالقلم يُحفظ العلم ويُورَث. تفسير ابن كثير ٩٦: ٤.

خمس آيات، خمسة موضوعات

الآية	الموضوع
٩٦: ١ — اقرأ باسم ربّك	العلم يبدأ بمعرفة الله
٩٦: ٢ — الإنسان من عَلَق	أصل الإنسان المتواضع يدعو إلى التواضع
٩٦: ٣ — وربّك الأكرم	العلم منحةٌ من الله لا مِلكٌ للإنسان
٩٦: ٤ — علّم بالقلم	أهمّية الكتابة وحفظ العلم
٩٦: ٥ — ما لم يعلم	علم الإنسان يزداد دائمًا بإذن الله

وقد شُرحت الآية الثانية عن «**العَلَق**» — أي المرحلة الأولى للجنين العالق بجدار الرحم — من جهة العلم في سلسلة الإعجاز العلمي في quranscience.my. وفي سياق السيرة تذكّر الإنسانَ بأصله في اللحظة الأولى التي خاطب الله فيها هذه الأمّة.

والعبرة: بدأ هذا الدين ب**العلم**. فالأمّة التي كان أوّل وحيها «اقرأ!» أجدرُ أن تكون أشدّ الأمم حبًّا للعلم والقراءة والكتابة.

«ما أنا بقارئ»

لمّا قال جبريل: «اقرأ!» أجاب: **«ما أنا بقارئ»**. وهذا الجواب صادق؛ فرسول الله ﷺ كان **أمّيًّا** لا يقرأ ولا يكتب، وقد وصفه القرآن بـ**«النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ»** (الأعراف ٧: ١٥٧).

وقد غطّه جبريل غطًّا شديدًا **ثلاث مرّات** قبل أن يقرأ عليه الآيات. وبيّن العلماء أنّ هذا الغطّ أشعره بأنّ الأمر **حقيقةٌ** لا منام، وهيّأه لتلقّي أمرٍ عظيمٍ ثقيل.

حكمة النبيّ الأمّي

ويبيّن القرآن الحكمة: لم يكن قبل القرآن **يتلو كتابًا ولا يخطّه** بيمينه، وإلّا لارتاب المبطلون (العنكبوت ٢٩: ٤٨). فمن لا يقرأ لا يمكنه أن ينقل قصص الأنبياء السابقين من كتب اليهود والنصارى.

الجانب	التفاصيل
دليل النبوّة	قرآنٌ لا يُعارَض جاء على يد رجلٍ لا يقرأ.
ردّ التهمة	لا يمكن أن يكون نقل من الكتب السابقة (٢٩: ٤٨).
لا دعوة إلى الأمّية	الأمّية خصوصيةٌ له وحده؛ وأمّته مأمورة بالقراءة.
كُتّاب الوحي	وفيما بعدُ اتّخذ من الصحابة كُتّابًا للوحي.

والعبرة: شرفُ رسول الله ﷺ **لا يتوقّف على الألقاب والشهادات**. فعلمه من الله مباشرةً. أمّا نحن فيبقى الأمر «اقرأ!» على عاتق كلّ مسلم.

خديجة: أوّل من سكّن روعه

رجع **يرجف فؤاده**، فقال لخديجة رضى الله عنها: «زمّلوني! زمّلوني!» فلمّا ذهب عنه الرَّوع أخبرها الخبر وقال: «**لقد خشيتُ على نفسي**».

وجواب خديجة من أجمل الكلمات في التاريخ: «**كلّا! والله ما يخزيك الله أبدًا**». ثمّ ذكرت **خمسَ خصالٍ** لزوجها دليلًا على ذلك (صحيح البخاري ٣).

الخصال الخمس التي ذكرتها خديجة

الأخلاق	معناها والعمل بها اليوم
تصل الرحم	حفظ الصلة بالأقارب ولو قطعوها.
تحمل الكَلّ	تحمّل أعباء اليتيم والشيخ ومن لا حيلة له.
تُكسب المعدوم	إعانة الفقير على حاجته وعلى الكسب.
تقري الضيف	استقبال الضيف وإكرامه.
تعين على نوائب الحقّ	مساعدة المنكوبين وأصحاب الشدائد الصادقة.

منطق خديجة

لم تحتجّ خديجة بالعاطفة وحدها، بل احتجّت بـ**سنّة الله**: من أحسن إلى الخلق لا يخزيه الله. وقد منحتها خمس عشرة سنة من العيش معه دليلًا كافيًا.

ثمّ لم تقف عند التطمين، بل **عملت**: فذهبت بزوجها إلى رجلٍ عالمٍ بالكتب السابقة، هو ورقة بن نوفل.

والعبرة: الزوج الصالح **مأوى** عند العاصفة. فالكلمة المطمئنة، والتذكير بإحسان المرء، والسعي إلى الحلّ — سنّةُ خديجة التي ينبغي أن يقتدي بها كلّ زوجٍ وزوجة.

ورقة بن نوفل

من كتب السيرة: مَن ورقة؟

تذكر ويكيبيديا أنّ **ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى** هو **ابن عمّ خديجة** لأبيها، **من بني أسد**. وكان من القلّة في مكة الذين تركوا عبادة الأصنام **وتنصّروا** في الجاهلية.

ويذكر الحديث الصحيح أنّه **كان يكتب الكتاب العبرانيّ** وينسخ من الإنجيل، وكان يومئذٍ **شيخًا كبيرًا قد عمي**. وتوفّي **بعد ذلك بقليل**.

المرجع:

ويكيبيديا، «Waraqah ibn Nawfal». https://en.wikipedia.org/wiki/Waraqah_ibn_Nawfal

ثلاثة أمور قالها ورقة

قول ورقة	معناه
«هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى».	المَلَك الذي جاءه هو جبريل، رسول الوحي إلى الأنبياء.
«ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك».	نبوءةٌ بأنّ هذه الدعوة ستُعادى وأنّه سيُخرَج.
«لم يأتِ رجلٌ قطّ بمثل ما جئتَ به إلّا عُودي».	سنّة الله: كلّ رسولٍ يُبتلى بالمعارضة.

فتعجّب وسأل: «**أَوَمُخرجيّ هم؟**» لم يكن يتصوّر أنّ القوم الذين لقّبوه بالأمين سيعادونه. ولكنّ نبوءة ورقة تحقّقت: فبعد ثلاث عشرة سنة هاجر إلى المدينة.

واختلف العلماء في عدّ ورقة صحابيًّا مؤمنًا. والمؤكَّد أنّه **صدّقه** وعزم على نصرته. وكانت شهادته — وهو العارف بالكتب السابقة — سندًا عظيمًا لخديجة وللنبيّ في تلك اللحظة العصيبة.

والعبرة: إذا واجهتَ أمرًا عظيمًا ف**ارجع إلى أهل العلم**. فلم تستنتج خديجة وحدها، بل ذهبت بزوجها إلى أهل العلم.

كيف كان يأتيه الوحي

وبعد الوحي الأوّل أراد الصحابة أن يعرفوا: كيف يأتيه الوحي؟ فسأل الصحابيّ الحارث بن هشام رضى الله عنه رسولَ الله ﷺ مباشرةً، وروت عائشة رضى الله عنها الجواب:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٢

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ـ رضى الله عنها ـ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ ـ رضى الله عنه ـ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْىُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ ـ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَىَّ ـ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ». قَالَتْ عَائِشَةُ رضى الله عنها وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْىُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.

السند: رواه الإمام البخاري: عن عبد الله بن يوسف، عن مالك بن أنس، عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنها.

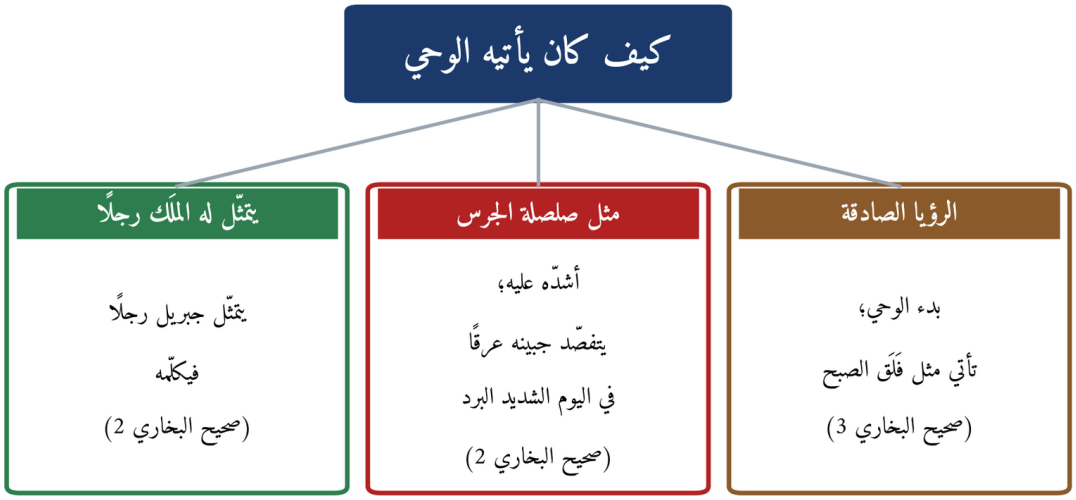
التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٢. ورواه مسلم أيضًا (رقم ٢٣٣٣).

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:2

دروسٌ من هذا الحديث

يدلّ هذا الحديث على أنّ الوحي **تجربةٌ ثقيلة**، لا إلهامٌ خفيف ولا خيال. فقد كان جبينه يتفصّد عرقًا في اليوم الشديد البرد. وقد قال الله تعالى إنّه سيُلقي عليه «**قَوْلًا ثَقِيلًا**» (المزّمّل ٧٣: ٥).



ويذكر العلماء صورًا أخرى، كالإلهام في القلب، وكلام الله تعالى مباشرةً ليلة الإسراء والمعراج.

الشكل ٣: صور مجيء الوحي إلى رسول الله ﷺ كما في الأحاديث الصحيحة.

والصورة الثانية — تمثّل الملَك رجلًا — شهدها الصحابة أنفسهم، كما في **حديث جبريل** المشهور، حين جاء رجلٌ شديد بياض الثياب يسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان (صحيح مسلم ٨).

والعبرة: القرآن الذي نقرؤه اليوم بيسرٍ تلقّاه رسول الله ﷺ ب**مشقّةٍ وجهد**. وتقديره أن نقرأه ونفهمه ونعمل به.

نزول القرآن مُنجَّمًا

لم يُنزَل القرآن جملةً واحدة، بل نزل **مفرّقًا شيئًا فشيئًا** على مدى نحو **ثلاثٍ وعشرين سنة**، بحسب الوقائع والحاجات. وقد بيّن الله الحكمة من ذلك:

قال الله تعالى عن القرآن: «**وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا**» — ليقرأه على الناس على مُكث. ويبيّن ابن كثير أنّ القرآن نزل مفرّقًا **بحسب الوقائع** في نحو ثلاثٍ وعشرين سنة. تفسير ابن كثير ١٧: ١٠٦.

حكمة النزول المُنجَّم

الحكمة	التفاصيل
تثبيت فؤاده	كلّما ابتُلي نزلت آياتٌ جديدة تقوّيه (الفرقان ٢٥: ٣٢).
سهولة الحفظ والفهم	حفظ الصحابة وعملوا شيئًا فشيئًا.
التغيير المتدرّج	نزلت أحكامٌ كتحريم الخمر على مراحل.
الجواب عن الوقائع	نزلت الآيات تجيب عن الأسئلة وتعالج المشكلات الحاضرة.

والنزول المُنَجَّم **معجزةٌ** كذلك، فآياتٌ نزلت في أحوالٍ شتّى على مدى ثلاثٍ وعشرين سنة — في السلم والحرب، والفرح والحزن — انتظمت كتابًا **لا اختلاف فيه** (النساء ٤: ٨٢).

من كتب السيرة: ليلة القدر والوحي الأوّل

يذكر القرآن أنّه أُنزل في **شهر رمضان** (البقرة ٢: ١٨٥) وفي **ليلة القدر** (القدر ٩٧: ١). وينقل ابن كثير قول ابن عبّاس إنّ القرآن أُنزل جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثمّ نزل على رسول الله ﷺ مفرّقًا.

ولذلك رأى كثيرٌ من العلماء أنّ الوحي الأوّل في غار حراء نزل في شهر رمضان. **واختُلف في تاريخه الدقيق**: فقيل ١٧ رمضان، وقيل ٢١ أو ٢٤ رمضان.

المرجع:

تفسير ابن كثير ٩٧: ١ https://tafsir.app/ibn-katheer/97/1

فترة الوحي: حين انقطع الوحي

ينتهي حديث عائشة بعبارةٍ موجزة: «**ثمّ لم ينشب ورقة أن توفّي، وفتر الوحي**» (صحيح البخاري ٣). وتُعرف هذه المدّة بـ«**فترة الوحي**».

من كتب السيرة: كم كانت مدّة الفترة؟

الحديث الصحيح **لم يذكر مدّة** الفترة. واختلف العلماء: فقيل أيّامًا، وقيل أشهرًا، وفي بعض روايات السيرة أنّها بلغت **سنتين أو ثلاثًا**. ومال ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» إلى أنّها كانت **أقصر من ذلك**.

وكثيرًا ما يختلط القول بالسنوات الثلاث بمدّة **الدعوة السرّية**. فبحسب ابن إسحاق مضت ثلاث سنوات قبل أن يُؤمر بالجهر بالدعوة — ولكنّ الوحي في تلك المدّة كان قد تتابع.

المرجع:

ويكيبيديا، «Muhammad's first revelation». https://en.wikipedia.org/wiki/Muhammad%27s_first_revelation

حكمة الفترة

بيّن العلماء أنّ الفترة أتاحت له أن **يذهب عنه الرَّوع** الذي أصابه أوّل مرّة، وأنبتت في قلبه **الشوق** إلى الوحي. فلمّا عاد الوحي استقبله بنفسٍ أكثر استعدادًا.

ويربط كثيرون **سورة الضحى** («مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ») بهذه الفترة. غير أنّ الرواية الصحيحة تدلّ على أنّ سورة الضحى نزلت بعد **انقطاعٍ آخر**: اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فعيّرته امرأةٌ مشركة (صحيح البخاري ٤٩٥٠).

والعبرة: في حياة المؤمن أوقاتٌ **يبدو فيها كأنّ السماء صامتة**. وليست تلك الأوقات علامةَ هجران، بل إعدادٌ لمهمّةٍ أكبر.

المدّثّر: الأمر بالقيام

انتهت الفترة بحادثةٍ رواها رسول الله ﷺ بنفسه؛ إذ رأى الملَك الذي جاءه بحراء مرّةً أخرى، وهو هذه المرّة جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ - وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ - فِي حَدِيثِهِ «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا، مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ} إِلَى قَوْلِهِ {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ». تَابَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ وَأَبُو صَالِحٍ. وَتَابَعَهُ هِلاَلُ بْنُ رَدَّادٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ. وَقَالَ يُونُسُ وَمَعْمَرٌ «بَوَادِرُهُ».

السند: رواه الإمام البخاري بإسناد الحديث السابق (رقم ٣) إلى ابن شهاب الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضى الله عنهما. وتابعه (متابعةً) عبد الله بن يوسف، وأبو صالح، وهلال بن ردّاد.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٤. ورواه مسلم أيضًا (رقم ١٦١).

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4

والآيات التي نزلت يومئذٍ هي أوّل سورة المدّثّر:

سورة المدّثّر (٧٤): ١-٥

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١

قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢

وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤

وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥

المصدر: quran.com/74:1-5

دروسٌ من هذا الحديث

إن كانت «**اقرأ**» قد جعلت محمدًا ﷺ **نبيًّا**، فإنّ «**قُمْ فَأَنذِرْ**» جعلته **رسولًا** مكلَّفًا بالبلاغ. قال العلماء: نُبِّئَ بـ«اقرأ»، وأُرسل بـ«المدّثّر».

وفي النداء «**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**» ملاطفةٌ ومحبّة؛ إذ ناداه الله بحاله في تلك اللحظة. وبعد هذه الآيات **حمي الوحي وتتابع** — فلم تعد فترةٌ طويلة.

أوّل خمسة أوامر للداعية

أوّل أمرٍ وُجّه إليه رسولًا: «**قُمْ فَأَنذِرْ**». قال ابن كثير: أي شمّر عن ساق العزم وأنذر الناس. تفسير ابن كثير ٧٤: ٢.

والآيات الخمس الأولى من المدّثّر **منهجٌ موجز للداعية**؛ ففي كلّ آيةٍ أمر، وكلّ أمرٍ صالحٌ إلى اليوم:

الآية والأمر	معناها لنا
٧٤: ٢ — قُم فأنذر	الدعوة مسؤولية؛ فاخرج من منطقة الراحة.
٧٤: ٣ — وربّك فكبّر	الله أكبر من كلّ تحدٍّ وتهديد.
٧٤: ٤ — وثيابك فطهّر	طهارة الظاهر والباطن؛ وفسّرها العلماء أيضًا بتطهير العمل.
٧٤: ٥ — والرُّجزَ فاهجر	ابن كثير: اترك الأصنام والمعاصي.
٧٤: ٦-٧ — لا تمنن تستكثر، ولربّك فاصبر	الإخلاص في العطاء، والصبر على الأذى.

ترتيبٌ ذو دلالة

تأمّل الترتيب: **القيام** (العمل)، **تكبير الله** (العقيدة)، **تطهير النفس** (الذات)، **هجر المعاصي** (الأخلاق)، ثمّ **الصبر** (الثبات). فالدعوة تبدأ بداعيةٍ يبني نفسه قبل أن يدعو غيره.

والآية الأخيرة — «**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**» — تنبيهٌ مبكّر. فقد تنبّأ ورقة بالعداء، والآن يُعِدّه الله بنفسه لمواجهته بالصبر.

خديجة: أوّل من آمن

من كتب السيرة: أوّل امرأة، وأوّل إنسان

اتّفقت كتب السيرة على أنّ **خديجة بنت خويلد أوّل من آمن** برسول الله ﷺ، قبل أيّ رجلٍ أو امرأة؛ فقد صدّقته منذ الليلة الأولى في غار حراء.

وأنفقت مالها في سبيل الدعوة، وكانت أقوى سندٍ له في بيته نحو **عشر سنين** بعد الوحي الأوّل، حتى توفّيت نحو سنة ٦١٩م.

المرجع:

ويكيبيديا، «Khadija bint Khuwaylid». https://en.wikipedia.org/wiki/Khadija_bint_Khuwaylid

وقد شهدت السماء بمكانة خديجة؛ فقد جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وطلب من رسول الله ﷺ أن يُقرئها **السلام من ربّها**، وأن يبشّرها **ببيتٍ في الجنّة**) صحيح البخاري ٣٨٢٠.(

لماذا بادرت خديجة إلى الإيمان؟

السبب	التفاصيل
معرفتها بزوجها	خمس عشرة سنة معه لم ترَ منه كذبًا.
الحكمة	حكمت بالعقل والتجربة لا بالعاطفة.
الفطرة النقيّة	عُرفت في الجاهلية بـ«الطاهرة».
شهادة ورقة	تأكيدٌ من رجلٍ عارفٍ بالكتب السابقة.

والعبرة: **أوّل امرأةٍ في الإسلام هي أوّل إنسانٍ في الإسلام.** فقد بدأ الإسلام بإيمان زوجةٍ حكيمة — تكريمٌ للمرأة لا يُنسى.

عليّ وزيد: من بيت النبيّ

من كتب السيرة: اثنان من بيت النبيّ

تذكر كتب السيرة أنّ الذي آمن بعد خديجة هو **عليّ بن أبي طالب**، ابن عمّه الذي نشأ في بيته (الحلقة ٢). ويُذكر أنّ عمر عليٍّ يومئذٍ كان **نحو عشر سنين** — والمصادر مختلفة.

ثمّ زيد بن حارثة، مولاه الذي أعتقه وتبنّاه، والذي اختار من قبلُ البقاء معه على العودة إلى أهله (الحلقة ٢).

المرجع:

ويكيبيديا، «Ali». https://en.wikipedia.org/wiki/Ali

ويكيبيديا، «Zayd ibn Haritha al-Kalbi». https://en.wikipedia.org/wiki/Zayd_ibn_Haritha_al-Kalbi

أقرب الشهود

تأمّل مَن آمن أوّلًا: **زوجته وابن عمّه ومولاه** — أهل بيته الذين يعيشون معه تحت سقفٍ واحد. رأوه ليلًا ونهارًا، في الرضا والغضب، أمام الناس وفي الخلوة.

قد يخدع المحتال الناس، لكنّه **يصعب عليه أن يخدع أهل بيته**. فإيمان هؤلاء الأقربين من أقوى الأدلّة على صدقه.

والعبرة: أنجح الدعوة ما يبدأ **في البيت**. فقبل أن ندعو المجتمع، لنتأكّد أنّ أخلاقنا في البيت تشهد بصدق ما نقول.

أبو بكر الصدّيق

من كتب السيرة: صديقٌ منذ الشباب

تذكر كتب السيرة أنّ **أبا بكر عبد الله بن عثمان** من **بني تيم** كان صديقًا حميمًا لرسول الله ﷺ قبل النبوّة. وكان **تاجرًا محترمًا**، ليّن الخُلُق، عالمًا بأنساب العرب.

وهو **أوّل من آمن من الرجال الأحرار البالغين**. وتذكر كتب السيرة أنّه أسلم **دون تردّد** حين دُعي.

المرجع:

ويكيبيديا، «Abu Bakr». https://en.wikipedia.org/wiki/Abu_Bakr

ويؤكّد الحديث الصحيح هذه المكانة، إذ قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله**» (صحيح البخاري ٣٦٦١).

إيمانٌ يتحرّك

لم يقف إيمان أبي بكر عند نفسه، بل بادر إلى **دعوة أصحابه**، مستعينًا بالثقة والعلاقات الطيّبة التي بناها سنين في التجارة. فأسلم على يده عددٌ من كبار رجال الإسلام — كما سنرى في الفصل التالي.

وأنفق ماله في **عتق العبيد** الذين عُذّبوا في إيمانهم، ومنهم بلال بن رباح. واشتهر لقبه **الصدّيق** فيما بعد لمبادرته إلى تصديق الإسراء والمعراج.

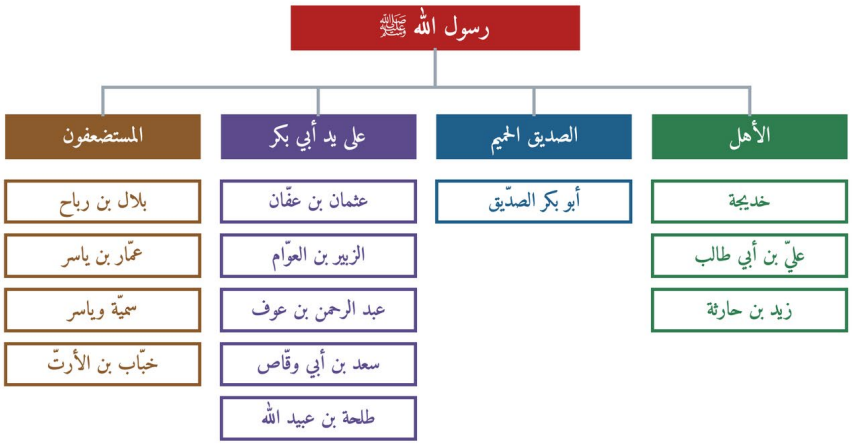
والعبرة: **الصديق الصالح رصيدٌ للدعوة**. فالعلاقات والثقة والمال قد تكون جسورًا تقود الآخرين إلى الخير.

مَن أسلموا على يد أبي بكر

يذكر ابن إسحاق أنّ عددًا من شباب قريش أسلموا بدعوة أبي بكر رضى الله عنه، وصاروا فيما بعد من **أعظم الرجال** في تاريخ الإسلام:

الاسم	التفاصيل
عثمان بن عفّان	من بني أميّة؛ صار فيما بعد الخليفة الثالث.
الزبير بن العوّام	ابن عمّة رسول الله ﷺ (ابن صفيّة).
عبد الرحمن بن عوف	من بني زهرة؛ صار فيما بعد تاجرًا شديد الكرم.
سعد بن أبي وقّاص	من بني زهرة؛ صار فيما بعد قائد فتح العراق.
طلحة بن عبيد الله	من بني تيم، قبيلة أبي بكر.

أوائل المؤمنين (مرحلة الدعوة السرّية)



الترتيب بحسب كتب السيرة (ابن إسحاق)؛ والترتيب الدقيق مختلَف فيه. وانظر أيضًا صحيح البخاري 3857 (حديث عمّار).

الشكل ٤: أوائل المؤمنين في مرحلة الدعوة السرّية.

وهؤلاء الخمسة جميعًا، مع أبي بكر وعليّ، من **العشرة المبشَّرين بالجنّة.** فسبعةٌ من العشرة أسلموا في مرحلة الدعوة السرّية.

ويحكي سعد بن أبي وقّاص رضى الله عنه نفسه قلّة المسلمين يومئذٍ: «**ما أسلم أحدٌ إلّا في اليوم الذي أسلمتُ فيه، ولقد مكثتُ سبعة أيّام وإنّي لثلث الإسلام**» صحيح البخاري ٣٧٢٧.(

ويبيّن العلماء أنّ سعدًا تكلّم **بحسب علمه** يومئذٍ، لأنّ الدعوة كانت سرّية وكثيرٌ منهم كانوا يكتمون إسلامهم.

والعبرة: كانوا **شبابًا.** فأكثر المؤمنين الأوائل بين المراهقة والثلاثين. والشباب هم الطاقة الأولى لكلّ تغييرٍ كبير.

«خمسة أعبُد وامرأتان وأبو بكر»

كيف كانت صورة المسلمين في أيّامهم الأولى؟ يقدّم عمّار بن ياسر رضى الله عنهما، وهو من السابقين، وصفًا موجزًا شديد الوضوح:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٣٨٥٧

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَّادٍ الآمُلِيُّ، قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُجَالِدٍ، عَنْ بَيَانٍ، عَنْ وَبَرَةَ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَا مَعَهُ إِلاَّ خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ، وَأَبُو بَكْرٍ.

السند: رواه الإمام البخاري: عن عبد الله بن حمّاد الآمُلي، عن يحيى بن معين، عن إسماعيل بن مجالد، عن بيان بن بشر، عن وبرة بن عبد الرحمن، عن همّام بن الحارث، عن عمّار بن ياسر رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي بكر الصدّيق رضى الله عنه، حديث رقم ٣٨٥٧. ورواه البخاري أيضًا (رقم ٣٦٦٠).

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:3857

دروسٌ من هذا الحديث

ذكر ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» أسماءهم المحتملة: فالأعبُد الخمسة هم **بلال، وزيد بن حارثة، وعامر بن فُهيرة، وأبو فُكيهة** وآخر، والمرأتان **خديجة وأمّ أيمن** أو **سميّة**. ولم يُذكر عليٌّ لأنّه كان صبيًّا.

يُظهر هذا الحديث الوجه الحقيقيّ للإسلام في بدايته: **لم يكن دين الأشراف.** فقد استجاب له العبيد والنساء وقلّةٌ من الأحرار — اجتماعٌ لم يُعهد في مجتمع مكة القبليّ الذي يعظّم الأنساب.

ميزانٌ جديد للكرامة

في تلك الحلقة الصغيرة جلس عبدٌ حبشيّ مساويًا لتاجرٍ قرشيّ. وهذه بذرة التعليم الذي أكّده القرآن بعدُ: **أنّ أكرم الناس عند الله أتقاهم** (الحجرات ٤٩: ١٣).

والعبرة: لا تحكم على الحقّ ب**عدد أتباعه أو مكانتهم**. فقد بدأ الإسلام بسبعةٍ أو ثمانيةٍ من المستضعفين، ولم ينقص ذلك من حقّه شيئًا.

المستضعفون الأقوياء بإيمانهم

تحمّل العبيد ومن لا عشيرة تحميهم أشدّ البلاء حين عُرف إسلامهم. وستُروى قصصهم مفصّلةً في الحلقة ٤؛ وهنا نعرّف بهم بإيجاز.

من كتب السيرة: بلال بن رباح

تذكر كتب السيرة أنّ بلالًا كان **عبدًا حبشيّ الأصل** يملكه **أميّة بن خلف**. فلمّا عُرف إسلامه عُذّب تحت شمس مكة المحرقة والصخرة العظيمة على صدره، وهو يردّد: «**أحدٌ، أحد**». ثمّ اشتراه أبو بكر وأعتقه.

المرجع:

ويكيبيديا، «Bilal ibn Rabah». https://en.wikipedia.org/wiki/Bilal_ibn_Rabah

من كتب السيرة: آل ياسر

تذكر ويكيبيديا أنّ **سميّة** زوجة **ياسر بن عامر** وأمّ **عمّار**، وأصلها من قبيلة مذحج باليمن. ونحو سنة **٦١٥م**، وهي في نحو الستّين من عمرها، قتلها **أبو جهل** بحربة — فكانت **أوّل شهيدةٍ في الإسلام**. وقُتل زوجها ياسر أيضًا في سبيل إيمانه.

المرجع:

ويكيبيديا، «Sumayya». https://en.wikipedia.org/wiki/Sumayya

ويكيبيديا، «Yasir ibn Amir». https://en.wikipedia.org/wiki/Yasir_ibn_Amir

خبّاب ودرس الصبر

خبّاب بن الأرتّ رضى الله عنه، وكان حدّادًا، جاء يشكو إلى رسول الله ﷺ وهو متوسّدٌ بردةً في ظلّ الكعبة: «ألا تدعو لنا؟» فذكّره بأنّ المؤمنين قبلهم عُذّبوا أشدّ من ذلك فثبتوا، وأنّ الله ليُتمّنّ هذا الأمر – «**ولكنّكم تستعجلون**» صحيح البخاري ٣٦١٢.

والعبرة: ليس الإيمان حكرًا على الأقوياء والأغنياء. فالذين عدّهم المجتمع أضعف الناس كانوا **أقواهم إيمانًا**، وأسماؤهم مكرّمةٌ إلى يوم القيامة.

دار الأرقم: المدرسة الأولى

من كتب السيرة: دارٌ عند الصفا

تذكر ويكيبيديا أنّ **الأرقم بن أبي الأرقم** من **بني مخزوم** (نحو ٥٩٧–٦٧٥م) كان من أوائل من أسلموا وهو **فتًى**. وكانت داره **في الجهة الشرقية من الصفا**، قريبًا من الكعبة.

وصارت هذه الدار **مكان لقاء** رسول الله ﷺ بأصحابه للتعلّم والعبادة سرًّا. وفيها أعلن **حمزة وعمر** إسلامهما فيما بعد. وعُرفت الدار لاحقًا **بدار الخيزران**.

المرجع:

ويكيبيديا، «Al-Arqam». https://en.wikipedia.org/wiki/Al-Arqam

لماذا اختيرت هذه الدار؟

العامل	التفاصيل
صاحبها فتًى	كان الأرقم فتًى، فلم تظنّ قريش أنّ داره مركز الدعوة.
بنو مخزوم	مخزوم قبيلة أبي جهل، رأس المعارضة — أبعد مكانٍ عن الظنّ.
موقعٌ استراتيجيّ	قريبةٌ من الكعبة وطريق الصفا، يسهل قصدها دون لفت الأنظار.
الأمان	اللقاء في الدار آمن من اللقاء في أزقّة مكة.

بعض هذه الأسباب **تحليلٌ من علماء السيرة المعاصرين**، لا رواية. لكنّها تعين على فهم حكمة رسول الله ﷺ في التخطيط.

المدرسة الأولى في الإسلام

في دار الأرقم **تعلّم الصحابة القرآن** النازل حديثًا، وسمعوا توجيهه، وبنوا **الأخوّة** فيما بينهم. فكانت **أوّل مدرسةٍ ومركز تربية** في تاريخ الإسلام.

والعبرة: كلّ حركة خيرٍ تحتاج إلى **مكانٍ للاجتماع والتعلّم وبناء النفس**. والمساجد والمصلّيات وحلقات العلم اليوم امتدادٌ لروح دار الأرقم.

لماذا كانت سرًّا؟

ذكر ابن إسحاق أنّ رسول الله ﷺ دعا سرًّا نحو **ثلاث سنين** قبل أن يُؤمر بالجهر. ولم تكن الدعوة السرّية **خوفًا**، بل خطّةً حكيمة في مرحلة البداية.

الحكمة	التفاصيل
بناء النواة	تكوين جماعةٍ صغيرة قويّة الإيمان قبل مواجهة المجتمع.
حماية المستضعفين	العبيد ومن لا حامي لهم عُرضةٌ للتعذيب.
مكة مركز الأوثان	الكعبة محاطةٌ بالأصنام، وقريشٌ تعيش منها.
التدرّج	كما نزل القرآن مُنجَّمًا.
انتظار الأمر	بدأت الدعوة الجهرية حين أمر الله بها (٢٦: ٢١٤).

بيّن العلماء أنّ «السرّية» تعني أنّ **اللقاءات والتعليم** كانت خفيّة؛ أمّا خبر الدين الجديد فقد انتشر في مكة، ولم تعدّه قريشٌ بعدُ خطرًا كبيرًا.

نهاية المرحلة السرّية

انتهت هذه المرحلة حين نزل الأمر: «**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**» (الشعراء ٢٦: ٢١٤). فصعد رسول الله ﷺ الصفا ونادى بطون قريش – وهي الحادثة التي قرأناها في الحلقة ٢ (صحيح البخاري ٤٧٧٠).

والعبرة: الدعوة تحتاج إلى **الحكمة والتخطيط**. فالأسلوب المناسب يختلف باختلاف الزمان والمكان والحال، لكنّ الغاية واحدة: دعوة الناس إلى الله.

بين الروايات الصحيحة والقصص المشهورة

تنتشر بين الناس قصصٌ كثيرة عن بدء الوحي. ويميّز الجدول الآتي بين الصحيح، وما في كتب السيرة، وما هو مختلَفٌ فيه.

القصص ودرجتها

القصّة المشهورة	الدرجة
أوّل الوحي العلق ٩٦: ١–٥ في غار حراء.	صحيح (صحيح البخاري ٣).
غطّه جبريل ثلاث مرّات.	صحيح (صحيح البخاري ٣).
نزل أوّل الوحي في ١٧ رمضان.	مختلَفٌ فيه؛ وقيل ٢١ أو ٢٤ رمضان.
دامت الرؤيا الصادقة ستّة أشهر.	قول بعض العلماء؛ ليس في الصحيحين.
دامت الفترة ثلاث سنين.	مختلَفٌ فيه؛ الحديث الصحيح لم يذكر مدّتها.
كاد يتردّى من الجبل في الفترة.	من «بلاغات» الزهري في صحيح البخاري ٦٩٨٢، غير متّصلة السند؛ لا يُعتمد عليها.
نزلت سورة الضحى بسبب الفترة.	الرواية الصحيحة تربطها بانقطاعٍ آخر (صحيح البخاري ٤٩٥٠).
خديجة أوّل من آمن.	متّفقٌ عليه في كتب السيرة.
كان معه خمسة أعبُد وامرأتان وأبو بكر.	صحيح (صحيح البخاري ٣٨٥٧).
للصلاة أو الدعاء في غار حراء فضلٌ خاصّ.	لا دليل؛ وليس ذلك من مناسك الحجّ أو العمرة.

تأمّل

قصّة بدء الوحي الصحيحة كافيةٌ لتهزّ القلب. ولا نحتاج إلى زياداتٍ ضعيفة كي **نحبّ رسول الله** ﷺ.

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

أماكن مهمّة في هذه الحلقة

جرت قصّة بدء الوحي في رقعةٍ صغيرة: غارٌ في قمّة جبل، وبيته مع خديجة، والكعبة، ودارٌ عند الصفا. ويجمع هذا الفصل تلك الأماكن ليتصوّر القارئ الأحداث بوضوحٍ أكبر.

جدول الأماكن

المسافات في الجدول تقديرٌ للبعد عن المسجد الحرام بحسب المصادر الحديثة، والطريق الفعليّ أطول. وما صار موضعه الأصليّ اليوم داخل المسجد الحرام نُصّ عليه.

المكان	صلته بهذه الحلقة	المسافة / الحال اليوم
الكعبة	ظلّ يصلّي ويطوف عندها؛ وعُذّب عندها بعض الصحابة الأوائل فيما بعد.	في وسط المسجد الحرام.
جبل الصفا	عند سفحه دار الأرقم؛ ومنه سينادي قومه جهراً (الحلقة ٤).	اليوم داخل بناء المسجد الحرام (المسعى).
دار الأرقم	مركز اللقاء والتعليم السرّي.	اليوم داخل توسعة المسجد الحرام.
بيت خديجة	بيته؛ عاد إليه مرتجفًا بعد الوحي الأوّل (صحيح البخاري ٣).	موقعه اليوم في محيط المسجد الحرام.
جبل النور	الجبل الذي فيه غار حراء.	نحو ٤ كم شمال شرق المسجد الحرام.
غار حراء	حيث كان يتحنّث وتلقّى الوحي الأوّل.	قرب قمّة جبل النور.

المصدر: «Jabal al-Nour & Ghar Hira»، «Discover Makkah»، «House of al-Arqam» WikiShia.

غار حراء في القياسات الحديثة

تذكر ويكيبيديا أنّ قمّة **جبل النور** ترتفع نحو **٦٤٢ مترًا** عن سطح البحر. والغار نفسه صغيرٌ جدًّا — طوله نحو **٣٫٧ أمتار** وعرضه نحو **١٫٦ متر** — ويصعد الزائر إليه نحو **١٧٥٠ درجة**. ويذكر موقع «Discover Makkah» الرسميّ أنّ باب الغار متّجهٌ إلى الشمال، وأنّ الكعبة تُرى من فتحةٍ صغيرة فيه.

تخيّل: رجلًا في الأربعين يصعد هذا الجبل الوعر مرّةً بعد مرّة، حاملًا زاد ليالٍ، ليخلو ويتعبّد بعيدًا عن شرك قومه. وفي هذا المكان الضيّق نزل الوحي الأوّل.

المصدر: ويكيبيديا، «Jabal al-Nour»؛ Discover Makkah.

> **ملاحظة تاريخية: ما مصير دار الأرقم؟**
>
> وقف الأرقم رضى الله عنه داره، وسكنها أبناؤه. وفي العهد العبّاسيّ أكره الخليفة المنصور أبناء الأرقم على بيعها، وأعطاها ابنه المهديّ، فوهبها المهديّ لزوجته الخيزران فبنت فيها مسجدًا — ولذلك عُرفت بدار الخيزران.
>
> وفي سنة **١٣٧٥هـ** (نحو ١٩٥٥م)، في توسعة المسجد الحرام في عهد الملك سعود بن عبد العزيز، أُدخل موضع الدار في المسجد. ولا يوجد اليوم بناءٌ خاصّ يُزار باسم دار الأرقم.

المصدر: «House of al-Arqam»، WikiShia.

العبرة

أعظم حدثٍ في تاريخ البشر بدأ في أبسط مكان — غارٍ ضيّق ودارٍ في زقاقٍ بمكة. فالله لا يحتاج إلى قصرٍ لينزّل هداه. وبيوتنا البسيطة يمكن أن تكون «دار أرقم» لأهلها إذا قُرئ فيها القرآن وتُعُلّم العلم.

القرآن مكتوبًا ومحفوظًا

أمر الوحي الأوّل بـ«اقرأ»، ووصف الله بأنّه «عَلَّمَ بِالْقَلَمِ» (العلق ٩٦: ٤). ومنذ البداية حُفظ القرآن بطريقين يقوّي أحدهما الآخر: الحفظ في الصدور، والكتابة على ما توفّر من موادّ في ذلك العصر.

الحفظ في الصدور

كان ﷺ يقرأ على أصحابه كلّ ما ينزل، فيحفظونه ويقرؤونه في صلاتهم. وفي مجتمعٍ قويّ الذاكرة معتادٍ على حفظ الشعر كان ذلك بالغ الأثر. وطمأنه الله بأنّه سبحانه سيجمع القرآن في صدره (القيامة ٧٥: ١٦–١٩).

الكتابة على موادّ شتّى

كان إذا نزل الوحي دعا كتّاب الوحي فكتبوه على ما تيسّر: العُسُب، واللِّخاف، وأكتاف الإبل، والجلود. ووصف زيد بن ثابت رضى الله عنه، أحد كتّاب الوحي، كيف جمع القرآن «من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال» (صحيح البخاري ٤٩٨٦).

مرحلتا الجمع

المرحلة	التفاصيل	المصدر
عهد رسول الله ﷺ	حُفظت الآيات وكُتبت متفرّقة؛ وعلّمهم ترتيب السور.	القيامة ٧٥: ١٦–١٩
عهد أبي بكر رضى الله عنه	بعد استشهاد كثيرٍ من الحفّاظ في اليمامة، كُلّف زيد بن ثابت بجمع القرآن في مجموعٍ واحد.	صحيح البخاري ٤٩٨٦
عهد عثمان رضى الله عنه	نُسخت عدّة مصاحف من ذلك المجموع وأُرسلت إلى الأمصار، ليجتمع الناس على قراءةٍ مكتوبةٍ واحدة.	صحيح البخاري ٤٩٨٧

أخبر الله أنّه هو الذي نزّل القرآن وهو الذي يحفظه (الحجر ١٥: ٩). وتحقّق هذا الحفظ بجهود بشرٍ مخلصين — حفّاظًا وكتّابًا وولاة — سخّرهم الله لذلك.

العبرة

القرآن الذي نقرؤه اليوم وصل إلينا عبر سلسلةٍ من الناس حفظوه وكتبوه ونسخوه بأمانة أربعة عشر قرنًا. وكلّما قرأنا أو حفظنا أو علّمنا آيةً واحدة، فقد وصلنا سلسلة الحفظ تلك.

أثرٌ تاريخيّ: أقدم مخطوطات القرآن

في السنوات الأخيرة فُحصت أوراقٌ قرآنية قديمة محفوظة في مكتبات أوروبا بطريقة **التأريخ بالكربون المشعّ**. وقد لفتت النتائج أنظار العالم. ولا نورد في هذا الفصل إلّا المعلومات الثابتة، ونبيّن بصدقٍ ما يصحّ استنتاجه منها وما لا يصحّ.

المخطوطة	تاريخ الكربون المشعّ	التفاصيل
مخطوطة برمنغهام (Mingana ١٥٧٢a)، جامعة برمنغهام	٥٦٨–٦٤٥م (باحتمال ٩٥٪)	ورقتان من الرقّ مكتوبتان على الوجهين: الكهف ١٨: ١٧–٣١، ومريم ١٩: ٩١–٩٨، وطه ٢٠: ١–٤٠. أُعلن عنها في يوليو ٢٠١٥. وتبيّن أنّهما من المصحف نفسه الذي منه أوراقٌ في المكتبة الوطنية الفرنسية (BnF Arabe ٣٢٨c).
قطعة توبنغن (Ma VI ١٦٥)، مكتبة جامعة توبنغن	٦٤٩–٦٧٥م (باحتمال ٩٥٫٤٪)	أُعلن عنها في نوفمبر ٢٠١٤ ضمن مشروع البحث «Coranica» (الألمانيّ–الفرنسيّ).

المصدر: ويكيبيديا، «Birmingham Quran manuscript»؛ Al Jazeera (2015)؛ Medieval Histories (2014).

ملاحظة مهمّة: ماذا يقيس الكربون المشعّ؟

يقيس التأريخ بالكربون المشعّ متى **مات الحيوان الذي صُنع الرقّ من جلده**، لا متى كُتب النصّ عليه. وقد يُخزَّن الجلد سنواتٍ قبل استعماله. ولذلك اختلف الباحثون: فرأى بعضهم أنّه ربّما كُتب في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه أو بعده بقليل، وشكّك آخرون في دقّة التاريخ.

ولذلك لا ندّعي أنّ أوراق برمنغهام كُتبت في عهد رسول الله ﷺ. والذي يصحّ استنتاجه بأمان: أنّ هذه الأوراق من أقدم الشواهد المكتوبة للقرآن، وأنّ نصّها في جوهره هو نصّ القرآن الذي يقرؤه المسلمون اليوم.

لماذا يهمّ هذا؟

إيمان المسلم بحفظ القرآن قائمٌ على وعد الله والنقل المتواتر، لا على فحوص المختبر. لكنّ مثل هذه الاكتشافات دليلٌ تاريخيّ إضافيّ على أنّ القرآن كُتب مصحفًا منذ القرن الأوّل الهجريّ — موافقًا لما رواه صحيح البخاري عن جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان.

العبرة

الإنصاف في التعامل مع الأدلّة من أدب العلم. فلا حاجة إلى تضخيم اكتشافٍ لتقوية الإيمان، ولا إلى الخوف من البحث الدقيق. والحقّ لا يحتاج إلى دعاوى مبالغ فيها.

أعلام هذه الحلقة: السابقون الأوّلون

أثنى الله على «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ» (التوبة ٩: ١٠٠). ويجمع الجدول الآتي بعض من آمنوا في سنوات الدعوة السرّية، مع أعلامٍ آخرين في هذه الحلقة.

العَلَم	المكانة	ملاحظة
خديجة بنت خُوَيلد	زوجته	أوّل من آمن؛ طمأنته بعد الوحي الأوّل (صحيح البخاري ٣).
ورقة بن نوفل	ابن عمّ خديجة	صدّق أنّ الذي جاءه هو الناموس (جبريل)؛ توفّي بعد قليل (صحيح البخاري ٣).
عليّ بن أبي طالب	ابن عمّه	أوّل من أسلم من الصبيان؛ عاش في بيته.
زيد بن حارثة	ابنه بالتبنّي	مولًى أُعتق؛ من أوائل المؤمنين.
أبو بكر الصدّيق	صديقه الحميم	أوّل من آمن من الرجال الأحرار البالغين؛ أسلم كثيرٌ من الصحابة بدعوته.
عثمان بن عفّان	بنو أميّة	أسلم على يد أبي بكر؛ الخليفة الثالث فيما بعد.
الزبير بن العوّام	ابن عمّته	أسلم وهو حَدَث.
عبد الرحمن بن عوف	بنو زُهرة	أسلم على يد أبي بكر؛ تاجرٌ كريم.
سعد بن أبي وقّاص	بنو زُهرة	«مكثتُ سبعة أيّام وإنّي لثلث الإسلام» (صحيح البخاري ٣٧٢٧).
طلحة بن عبيد الله	بنو تَيْم	أسلم على يد أبي بكر.
أبو عبيدة بن الجرّاح	بنو الحارث بن فهر	بحسب ابن إسحاق أسلم على يد أبي بكر؛ لُقّب فيما بعد «أمين هذه الأمّة».
سعيد بن زيد	بنو عَدِيّ	ابن زيد بن عمرو (من الحنفاء)؛ زوج فاطمة بنت الخطّاب.

العَلَم	المكانة	ملاحظة
الأرقم بن أبي الأرقم	بنو مخزوم	صارت داره مركز الدعوة السرّية.
بلال بن رباح	عبدٌ حبشيّ	عُذّب في إيمانه؛ صار فيما بعد مؤذّن رسول الله ﷺ.
عمّار بن ياسر	آل ياسر	روى «خمسة أعبُد وامرأتان وأبو بكر» (صحيح البخاري ٣٨٥٧).
خبّاب بن الأرتّ	حدّاد	عُذّب في إيمانه؛ ذكّره بصبر الأمم السابقة.
عبد الله بن مسعود	راعي غنم	يحسب ابن إسحاق من أوائل المؤمنين؛ صار فيما بعد من كبار أهل القرآن.

المصدر: ابن هشام، السيرة النبوية؛ صحيح البخاري ٣، ٣٧٢٧، ٣٨٥٧؛ والفصول السابقة من هذا الكتاب.

العبرة

جاء هؤلاء الأوائل من طبقاتٍ شتّى: أشراف وتجّار وشباب وعبيد ونساء. ولم يجمعهم نسبٌ ولا مال، بل الشجاعة على قبول الحقّ قبل أن يشيع. ونحن أيضًا مُبتلَون: هل نختار الحقّ فقط حين يختاره الكثيرون؟

خطّ زمني: السيرة والعالم

يضع هذا الخطّ الزمنيّ أحداث هذا الكتاب إلى جانب أحداث العالم في العصر نفسه. والسنوات الميلادية لأحداث السيرة تقديرٌ من المؤرّخين المعاصرين.

السنة (تقريبًا)	الحدث
قُبيل ٦١٠	الرؤيا الصادقة؛ يخلو ويتحنّث في غار حراء (صحيح البخاري ٣).
٦١٠ (رمضان)	أوّل الوحي، العلق ٩٦: ١–٥، في غار حراء؛ وله أربعون سنة.
٥ أكتوبر ٦١٠	تتويج هرقل إمبراطورًا للروم.
بعد الوحي الأوّل	فترة الوحي — انقطاعٌ مؤقّت؛ واختلف العلماء في مدّته.
بعد الفترة	نزول المدّثّر ٧٤: ١–٥: الأمر بالقيام والإنذار (صحيح البخاري ٤).
نحو ٦١٠–٦١٣	الدعوة السرّية؛ دار الأرقم مركز اللقاء.
613	الفرس يستولون على دمشق.
نحو ٦١٣	الأمر بالدعوة الجهرية (الشعراء ٢٦: ٢١٤) — الحلقة ٤.
614	الفرس يستولون على بيت المقدس؛ خلفيّة الآيات الأولى من سورة الروم.
نحو ٦١٥	اشتداد تعذيب المستضعفين؛ الهجرة الأولى إلى الحبشة — في الحلقات القادمة.

المصدر: ويكيبيديا، «Heraclius»؛ صحيح البخاري ٣ و٤؛ وسنوات هذه الحلقة بحسب تقدير المؤرّخين.

العبرة

بينما كانت مدن الروم الكبرى تسقط واحدةً بعد أخرى في يد الفرس، كانت جماعةٌ صغيرة من المؤمنين بمكة تتعلّم بصمتٍ في دار. لم يلتفت إليهم العالم. لكن في أقلّ من عشرين سنة غيّرت هذه الجماعة الصغيرة خريطة العالم. فلا تحقرنّ جهدًا صغيرًا مخلصًا.

أسئلة شائعة

هذه أسئلةٌ شائعة عن بدء الوحي والدعوة السرّية، مع أجوبةٍ موجزة من المصادر التي نوقشت في هذا الكتاب.

١. متى نزل الوحي الأوّل؟

في شهر رمضان، وله أربعون سنة. ويذكر القرآن أنّه أُنزل في رمضان، في ليلة القدر (البقرة ٢: ١٨٥؛ القدر ٩٧: ١). واختلف العلماء في تاريخه الدقيق.

٢. ما أوّل ما نزل من القرآن؟

الآيات الخمس الأولى من سورة العلق (٩٦: ١-٥)، كما روت عائشة رضى الله عنها في صحيح البخاري ٣. وبعد الفترة نزل أوّل سورة المدّثّر (صحيح البخاري ٤).

٣. مَن أوّل من آمن؟

جمع العلماء بين الروايات هكذا: من النساء (وعلى الإطلاق) خديجة؛ ومن الرجال الأحرار البالغين أبو بكر؛ ومن الصبيان عليّ؛ ومن الموالي زيد بن حارثة.

٤. كم كانت مدّة الفترة؟

اختلف العلماء، ولا شيء قاطعٌ في الصحيحين عن مدّتها. والصحيح أنّ الوحي انقطع مدّةً ثمّ عاد بسورة المدّثّر.

٥. كم دامت الدعوة السرّية؟

بحسب أهل السيرة نحو ثلاث سنين، حتى نزل الأمر بإنذار عشيرته الأقربين جهراً (الشعراء ٢٦: ٢١٤).

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

٦. هل كان ورقة بن نوفل مسلمًا؟

صدّق بنبوّته وتمنّى نصرته، لكنّه توفّي بعد قليل (صحيح البخاري ٣). ويرى كثيرٌ من العلماء أنّه من المؤمنين، وإن اختُلف في عدّه صحابيًّا.

٧. لماذا لم يكن النبيّ ﷺ يقرأ ولا يكتب؟

لئلّا يدّعي أحدٌ أنّه نقل القرآن أو ألّفه من الكتب السابقة (العنكبوت ٢٩: ٤٨). فالأمّيّة دليلٌ على النبوّة لا نقص.

٨. كيف كُتب القرآن في عهده؟

كتبه كتّاب الوحي على العُسُب واللِّخاف والعظام والجلود، وحفظه الصحابة. ثمّ جُمع في عهد أبي بكر، ونُسخ في مصاحف في عهد عثمان (صحيح البخاري ٤٩٨٦، ٤٩٨٧).

٩. هل كُتبت مخطوطة برمنغهام في عهد النبيّ ﷺ؟

لا يمكن الجزم. فالكربون المشعّ يدلّ على أنّ الجلد يعود إلى ما بين ٥٦٨ و٦٤٥م، لكنّه يقيس عمر الجلد لا زمن الكتابة. ويرى كثيرٌ من الباحثين أنّها ربّما كُتبت في عهد عثمان أو بعده بقليل.

١٠. أين دار الأرقم اليوم؟

كانت عند سفح الصفا. وفي سنة ١٣٧٥هـ أُدخل موضعها في توسعة المسجد الحرام، فلا بناء خاصًّا يُزار اليوم.

١١. لماذا بدأت الدعوة سرًّا؟

ذلك من حكمة رسول الله ﷺ في بناء أساسٍ متين قبل مواجهة المعارضة العلنية. ويشرح فصل «لماذا كانت سرًّا؟» في هذا الكتاب أسبابها.

١٢. هل يلزم صعود غار حراء في العمرة أو الحجّ؟

لا. فصعود غار حراء ليس من مناسك الحجّ أو العمرة، ولا نصّ في فضلٍ خاصّ للصلاة فيه. ويجوز زيارته للاعتبار، مع الحفاظ على السلامة وعدم الكتابة على صخوره.

العبرة

كلّ سؤالٍ يُجاب عنه بمصدرٍ صحيح يزيد اليقين ويُبعدنا عن القصص التي لا أصل لها. فواصل السؤال، وواصل القراءة — فهذا الدين بدأ بأمر «اقرأ».

الدروس والخاتمة

دروسٌ من هذا الكتاب

أوّلًا: الإسلام بدأ بالعلم. أوّل الوحي «اقرأ» والثناء على القلم (٩٦: ١–٥).

ثانيًا: الإعداد قبل المهمّة الكبرى. الرؤيا الصادقة والخلوة في حراء هيّأته (صحيح البخاري ٣).

ثالثًا: الوحي أمرٌ ثقيل. يتفصّد جبينه عرقًا في اليوم البارد (صحيح البخاري ٢).

رابعًا: قوّة الزوجة. طمأنته خديجة بحجّة الأخلاق وسعت إلى الجواب.

خامسًا: الرجوع إلى أهل العلم. صدّق ورقة بالناموس وتنبّأ بالعداء.

سادسًا: قُم فأنذر. آيات المدّثّر الخمس منهج الداعية (٧٤: ١–٥؛ صحيح البخاري ٤).

سابعًا: الدعوة تبدأ من البيت. الزوجة وابن العمّ والابن بالتبنّي أوّل المؤمنين.

ثامنًا: الحقّ لا يُقاس بالعدد. خمسة أعبُد وامرأتان وأبو بكر (صحيح البخاري ٣٨٥٧).

تاسعًا: الحكمة في التخطيط. دار الأرقم وثلاث سنين من الدعوة السرّية بنت جيل النواة.

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

خلاصة الخطّ الزمني

الزمن (تقديرًا)	الحدث ومصدره
قُبيل ٦١٠م	الرؤيا الصادقة؛ الخلوة في غار حراء (صحيح البخاري ٣)
رمضان ٦١٠م	الوحي الأوّل، العلق ٩٦: ١–٥ (صحيح البخاري ٣)
بعد الوحي الأوّل	إيمان خديجة؛ لقاء ورقة (صحيح البخاري ٣)
بعد قليل	وفاة ورقة؛ الفترة (صحيح البخاري ٣)
بعد الفترة	المدّثّر ٧٤: ١–٥ (صحيح البخاري ٤)
٦١٠–٦١٣م	عليّ وزيد وأبو بكر والخمسة على يده (كتب السيرة)
٦١٠–٦١٣م	اللقاءات في دار الأرقم (كتب السيرة)
نحو ٦١٣م	الدعوة الجهرية على الصفا (٢٦: ٢١٤؛ صحيح البخاري ٤٧٧٠)

خاتمة

من غار حراء الصامت، إلى بيت خديجة المطمئن، إلى بيت ورقة الشيخ الأعمى، حتى دار الأرقم عند سفح الصفا — بنت الرسالة التي بدأت بكلمةٍ واحدة «اقرأ» الجيلَ الأوّل من المسلمين بصمت. وإن شاء الله نتواصل سلسلة **السيرة النبوية** ب**الدعوة الجهرية**، ومعارضة قريش، والبلاء الذي نزل بالصحابة. والله أعلم.

المراجع

القرآن الكريم والتفسير

القرآن الكريم، بالرسم العثماني. https://quran.com/ms

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٩٦: ١–٥؛ ٧٤: ١–٧؛ ١٧: ١٠٦؛ ٩٧: ١). https://tafsir.app/ibn-katheer/96/1

الحديث الشريف

صحيح البخاري ٢، ٣، ٤، ٣٦١٢، ٣٦٦١، ٣٧٢٧، ٣٨٢٠، ٣٨٥٧، ٤٧٧٠، ٤٩٥٠، ٦٩٨٢، ٦٩٨٥. https://sunnah.com/bukhari

صحيح مسلم ٨. https://sunnah.com/muslim:8

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري — كتاب بدء الوحي، وباب إسلام أبي بكر.

كتب السيرة والتاريخ

ابن هشام، السيرة النبوية (برواية ابن إسحاق) — باب بدء الوحي وأوائل المؤمنين.

صفيّ الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم — باب بدء الوحي والدعوة السرّية.

ويكيبيديا، «Muhammad’s first revelation». https://en.wikipedia.org/wiki/Muhammad%27s_first_revelation

ويكيبيديا، «Jabal al-Nour». https://en.wikipedia.org/wiki/Jabal_al-Nour

ويكيبيديا، «Waraqah ibn Nawfal». https://en.wikipedia.org/wiki/Waraqah_ibn_Nawfal

ويكيبيديا، «Khadija bint Khuwaylid». https://en.wikipedia.org/wiki/Khadija_bint_Khuwaylid

ويكيبيديا، «Abu Bakr». https://en.wikipedia.org/wiki/Abu_Bakr

ويكيبيديا، «Ali». https://en.wikipedia.org/wiki/Ali

ويكيبيديا، «Zayd ibn Haritha al-Kalbi». https://en.wikipedia.org/wiki/Zayd_ibn_Haritha_al-Kalbi

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

ويكيبيديا، «Bilal ibn Rabah». https://en.wikipedia.org/wiki/Bilal_ibn_Rabah

ويكيبيديا، «Sumayya». https://en.wikipedia.org/wiki/Sumayya

ويكيبيديا، «Yasir ibn Amir». https://en.wikipedia.org/wiki/Yasir_ibn_Amir

ويكيبيديا، «Al-Arqam». https://en.wikipedia.org/wiki/Al-Arqam

ويكيبيديا، «Heraclius». https://en.wikipedia.org/wiki/Heraclius

ويكيبيديا، «Khosrow II». https://en.wikipedia.org/wiki/Khosrow_II

التاريخ والأماكن والمخطوطات

ويكيبيديا، «Jabal al-Nour». https://en.wikipedia.org/wiki/Jabal_al-Nour

«Discover Makkah، «Jabal al-Nour & Ghar Hira». https://discovermakkah.sa/en/places-worth-visiting/stories-from-the-heart-of-mecca/mount-al-nour-and-cave-of-hira

«WikiShia، «House of al-Arqam b. Abi l-Arqam». https://en.wikishia.net/view/Draft:House_of_al-Arqam_b._Abi_l-Arqam

ويكيبيديا، «Birmingham Quran manuscript». https://en.wikipedia.org/wiki/Birmingham_Quran_manuscript

Al Jazeera، «One of the world's oldest Quran manuscripts found in UK» (٢٠١٥). https://www.aljazeera.com/news/2015/7/22/one-of-the-worlds-oldest-quran-manuscripts-found-in-uk

«Medieval Histories، «Qur'an fragment Tübingen University Library Ma VI ١٦٥ (٢٠١٤). https://www.medieval.eu/sensational-fragment-early-quran-identified/

ويكيبيديا، «Heraclius». https://en.wikipedia.org/wiki/Heraclius

الدعم والتبرّع

يُنشر هذا الكتاب **مجّانًا بالكامل** للأمّة الإسلامية، **ولا يجوز بيعه أبدًا.** والتبرّعات مرحّبٌ بها للمساعدة في تكاليف البحث، واستضافة الموقع quranscience.my، ونشر مزيدٍ من الكتب — لكنّها **ليست واجبة.** نسأل الله أن يتقبّل كلّ تبرّعٍ صدقةً جارية.

سورة البقرة (٢): ٢٦١

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١

المصدر: quran.com/2:261

سورة سبأ (٣٤): ٣٩

قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩

المصدر: quran.com/34:39

حديث — صحيح مسلم، رقم ٢٥٨٨

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ، حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ ».

السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم ٢٥٨٨.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:2588

حديث – صحيح مسلم، رقم ١٦٣١

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، - يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ - وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - هُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ».

السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الوصيّة، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم ١٦٣١.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:1631

جزاكم الله خيرًا كثيرًا



امسح رمز QR أعلاه (DuitNow، ماليزيا) للتبرّع.

تبرع

للمتبرّعين من خارج ماليزيا: انقر زرّ «تبرّع» أو زُر paypal.me/quranscience